مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

العدد ٢٠/٢٠٠٩

الأحد ١٧ أيار

أحد السامرية

تذكار القديسَين الرسولَين

أندرونيكُس ويونيّاس

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر السابع

الرسالة

(أعمال الرسل ١١:١٩–٣٠)

في تلكَ الأيامِ لمَّا تبدَّدَ الرسُلُ من أجلِ الضيقِ الذي حصلَ بسببِ استفانُسَ اجتازوا إلى فينيقيةَ وقُبرُسَ وإنطاكِيةَ وهم لا يكلمون أحداً بالكلمةِ إلاَّ اليهودَ فقط* ولكنَّ قوماً منهم كانوا قُبرُسيين وقيروانيين. فهؤلاءِ لمّا دخلوا إنطاكيةَ أخذوا يُكلِّمونَ اليونانيينَ مُبشِّرينَ بالربِّ يسوع* وكانت يَدُ الربِّ معهم. فآمنَ عددٌ كثيرٌ ورجعوا إلى الربِّ* فبلغَ خبرُ ذلك إلى آذانِ الكنيسةِ التي بأورشليمَ فأرسلوا برنابا لكي يجتازَ إلى إنطاكية* فلمَّا أقبلَ ورأى نعمةَ اللهِ فرحَ ووعظهم كلَّهم بأن يثبُتوا في الربِّ بعزيمةِ القلب* لأنَّه كان رجلاً صالحاً ممتلئاً من الروحِ القدسِ والإيمان. وانضمَّ إلى الربِّ جمعٌ كثيرٌ* ثمَّ خرجَ برنابا إلى طِرسُوسَ في طلبِ شاول. ولمّا وجدَه أتى به إلى إنطاكية* وتردَّدا معاً سنةً كاملةً في هذه الكنيسةِ وعلَّما جمعاً كثيراً ودُعيَ التلاميذُ مسيحيين في إنطاكِيَةَ أولاً* وفي تلكَ الأيامِ انحدرَ من أورشليمَ أنبياءُ إلى إنطاكية* فقامَ واحدٌ منهم اسمه أغابُوس

حول الإنجيل

يطلعنا يوحنا الرسول في النص الإنجيلي الذي نقرأه اليوم على حادثة اقتناص المرأة السامرية من قِبَل الرب يسوع. السامريون كانوا في الأساس شعوباً تعبد الأوثان في بابل وأثناء السبي آمنوا بالإله الحق لكنهم حافظوا على عبادة الأوثان ولم يقبلوا من الكتاب المقدس إلا الأسفار الموسوية. لقد اعتبر اليهود هؤلاء السامريين الذين كانوا يسكنون في مدينة السامرة غرباء الجنس وعبدة أوثان لذلك ما كانوا يخالطونهم.

في بداية النص الإنجيلي يحضر يسوع وحيداً إلى بئر يعقوب ويجلس هناك بعد ان تعب من المسير، هذا التعب هو دليل على ان الرب يسوع أخذ طبيعتنا البشرية بكاملها. فالإله لا يتعب لكن تجسد الكلمة جعله يختبر التعب بالجسد. الله العالم كل شيء كان يدرك ان السامرية ستأتي إلى العين ظهراً (الساعة السادسة التي يذكرها الإنجيل هي الساعة الثانية عشرة ظهراً بحسب التوقيت المستخدم اليوم)، وأراد أن يصطادها لتحصل على الخلاص.

السامرية المعروفة باسم فوتيني (منيرة) التي كانت تزني بالسر وليس علانية كانت تعرف العادات جيداً وتسعى للمحافظة على الناموس أمام الناس، لذلك لم ترد التحدث مع يسوع لأن اليهود لا يخالطون السامريين. أما يسوع فقد انتقل بسرعة من الحديث عن ماء الشرب الطبيعي إلى الحديث عن «الماء الحي» الذي كان يرمز إلى الحياة الأبدية التي يعطيها الله: «لأنَّ شعبي عمِلَ شرَّين، تركوني أنا ينبوعَ المياهِ الحيَّةِ لينقروا لأنفسهم أباراً أباراً مَشَقَّقَةً لا تضبطُ ماءً» (ارميا ٢: ١٣).

حاولت السامرية أن تقيم مقارنة بين شخص الرب يسوع وشخص أب الآباء يعقوب بسؤالها: «ألعلَّكَ أعظمُ من أبينا يعقوبَ الذي أعطانا البئر وشَرِبَ منها هو وبنوه ومواشيه» (يو ٤: ١٢). هنا يظهر تواضع ابن الله الأزلي الذي استطاع باتضاعه أن يوجه الحديث ليقيم مقارنة بين الماء الطبيعي والماء الحي. يتنازل المسيح دائماً إلى ضعف أفكارنا البشرية ليرفعنا معه

فأنبأ بالروح أن ستكون مجاعةٌ عظيمةٌ على جميع المسكونة. وقد وقعَ ذلكَ في أيام كلوديوس قيصر* فحَتَمَ التلاميذ بحسَبِ ما يتيسَّر لكلٍّ واحدٍ منهم أن يُرسِلوا خِدمةً إلى الإخوةِ الساكِنينَ في أورشليم* ففعلوا ذلك وبعثوا إلى الشيوخِ على أيدي برنابا وشاوُلَ.

الإنجيل

(يوحنا ٤: ٥–٣٩)

في ذلك الزمان أتى يسوعُ إلى مدينةٍ مِنَ السامِرةِ يُقالُ لها سوخارُ بقربِ الضَيْعَةِ التي أعطاها يعقوبُ ليوسُفَ ابنِهِ* وكان هناك عينُ يعقوب. وكان يسوعُ قد تعِبَ من المسير. فجلس على العينِ وكان نحوُ الساعةِ السادسة* فجاءَتِ امرأةٌ من السامِرَةِ لِتستقيَ ماءً. فقال لها يسوعُ أعطيني لأشرَبَ* (فإنَ تلاميذَهُ كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعاماً)* فقالَتْ لهُ المرأةُ السامِريَّةُ كيف تطلبُ أن تشرَبَ منّي وأنتَ يهوديٌّ وأنا امرأةٌ سامريةٌ واليهودُ لا يخالطونَ السامريّين* أجاب يسوعُ وقال لها لو عرَفْتِ عطيَّةَ اللهِ ومن الذي قال لكِ أعْطيني لأشرَبَ لطَلَبْتِ أنتِ منه فأعطاكِ ماءً حيًّا* قالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ إنَّه ليس معك ما تستقي به والبئرُ عميقة. فمِن أين لك الماء الحيُّ* ألعلَّكَ أنت أعظَمُ من أبينا يعقوبَ الذي أعطانا البئرَ ومنها شربَ هو وبنوهُ وماشيتُهُ* أجاب يسوعُ

إلى الأفكار اللاهوتية السامية.

حين طلبت السامرية من يسوع الماء الحي وكانت أفكارها بعدُ أرضية إذ سعت وراء الراحة الجسدية، لمس يسوع حياتها الشخصية وأظهر لها معرفته لأدق أمور حياتها وحتى لِما كانت تعتبره سرّها الخاص. بعد ان كشف لها يسوع معرفته المطلقة عادت السامرية تستفسر عن اللاهوت والموضوع هو السجود لله. أين يجب أن تُقدَّم العبادة لله، أفي الجبل أم في أورشليم؟ في الجبل المدعو صومر قدّم إبرهيم ابنه إسحق ضحية لله وفي أورشليم عاين يعقوب في رؤيا سلّماً تصل الأرض بالسماء. لم تطلب هذه الزانية خيرات أرضية بل تفسير العقائد المتعلقة بالله. فأجابها الرب يسوع بأن العبادة ليست محصورة في مكان محدّد. أما جوهرها فهو السجود بالروح والحق . هذا هو السجود الحقيقي للآب.

لقد تطورت العبادة من طقس خارجي إلى طقس داخلي كما يقول المزمور ٥٠: «الذبيحة لله روح منسحق». في الحقيقة الله لا تهمه الذبائح والمحرقات وحفظ الناموس فقط كواجب بل يسأل عن قلب الإنسان كما يقول على لسان النبي أشعياء: «لا تعودوا تأتُون بتقدمة باطلة، البخورُ هو مكرهةٌ لي، رأسُ الشهرِ والسبتُ ونداءُ المحفل، لستُ أُطيقُ الإثمَ والإعتكافَ» (اش ١٣:١)، «إغتسِلوا تنقَّوا اعزلوا شرَّ أفعالِكم من أمام عينيَّ كُفوا عن فعل الشرِّ» (اش ١: ١٦). إذاً مَن أراد أن يتعبَّد لله عليه أن يعبده جسداً وروحاً لأن السجود الجسدي لا معنى له إن كان قلبنا بعيداً عن الله وأفعالنا مخالفةً لأوامره.

مع نهاية الحديث عن عبادة الله، ارتقت السامرية للسؤال عن المسيّا المنتظر أي المسيح. إن ملء المعرفة الإلهية تحققت بتجسد ابن الله ومَن أراد معرفة الآب عليه التعرُّف إلى الإبن: «الذي رآني فقد رأى الآب» (يو ١٤:٩)، وهذا ما توصلت إليه السامرية. بعد أن تعرفت على الحق المتمثل بشخص الرب يسوع تركت السامرية «المستنيرة» جرَّتها ونسيت عطشها الناتج عن حر النهار إذ ارتوت من الماء الحي وانتقلت لتبشر أهل مدينتها الذين آمن منهم كثيرون بسبب كلامها وجاءوا إلى يسوع لينالوا شرف معرفته الشخصية وليسمعوا تعاليمه.

إن السامرية استنارت من الرب يسوع وتعلمت منه كيف يكون السجود الحقيقي والعبادة الحقيقية للآب التي تتحقق بنعمة الروح القدس وبمعرفة الحق الذي هو الرب يسوع نفسه: «أنا هو الطريق والحق والحياة» (يو١٤: ٦).

الصلاة

«نشكُرُ اللهَ وأبا ربِّنا يسوعَ المسيحِ كلَّ حينٍ مُصَلّينَ لأجلِكم» (كو ١:٣).

عظمة الرسول بولس، رسول الأمم، انه كان يملك طرقاً بريئة غير متكلّفة وصادقة تربطه بالله وبالذين يحبهم، حتى لو لم يكن قد التقى بهم. فهو لم يزر أهل كولوسي بل سمع عنهم فقط من مساعديه تيموثاوس وأبفراس، إلا أنه يبادر مباشرة بعد قوله «نِعمةٌ لكم وسلامٌ من اللهِ أبينا» (كو ١: ٢) إلى شكر الله « كل حين مصلّين لأجلكم». كم كان وقع هذا الكلام مؤثراً في نفس أهل كولوسي؟ فرح عظيم يغمر

وقال لها كلُّ مَن يشربُ من هذا الماءِ يعطَش أيضاً. وأمَّا مَن يشربُ من الماءِ الذي أنا أُعطيهِ له فلن يعطَشَ إلى الأبد* بل الماءُ الذي أُعطيهِ لهُ يصيرُ فيهِ ينبوعَ ماءٍ ينبُعُ إلى حياةٍ أبديَّة* فقالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ أعطِني هذا الماءَ لكي لا أعطَشَ ولا أجيءَ إلى ههنا لأستقي* فقال لها يسوعُ اذهبي وادْعي رَجُلَكِ وهلمّي إلى ههنا* أجابتِ المرأةُ وقالتْ إنَّهُ لا رجلَ لي. فقالَ لها يسوعُ قد أحسَنْتِ بقولِكِ إنَّهُ لا رَجُلَ لي* فإنَّهُ كان لك خمسةُ رِجالٍ والذي معكِ الآنَ ليس رجُلَكِ. هذا قلتِهِ بالصِّدق* قالت له المرأةُ يا سيّدُ أرى أنَّك نبيٌّ* آباؤنا سجدوا في هذا الجبل. وأنتم تقولون إنَّ المكانَ الذي ينبغي أن يُسجَدَ فيهِ هو في أورشليم* قال لها يسوعُ يا امرأةُ صدِّقيني إنَّها تأتي ساعةٌ لا في هذا الجبل ولا في أورشليمَ تسجدون فيها للآب* أنتم تسجُدون لما لا تعلمون ونحن نسجُدُ لما نعلَم. لأنَّ الخلاصَ هو مِنَ اليهود* ولكن تأتي ساعةٌ وهي الآنَ حاضِرَةٌ إذ الساجدون الحقيقيُّون يسجُدون للآبِ بالروحِ والحقِّ. لأنَّ الآبَ إنما يطلُبُ الساجدين له مثلَ هؤلاءِ* اللهُ روحٌ. والذينَ يسجُدون له فبالروحِ والحقِّ ينبغي أن يسجُدوا* قالت له المرأة قد علِمتُ أنَّ مَسِيَّا الذي يُقالُ له المسيحُ يأتي. فمتى جاء ذاك فهو يُخبِرُنا بكلِّ شيءٍ* فقال لها يسوعُ أنا المتكلِّمُ معَكِ هو* وعند ذلك جاءَ تلاميذُهُ فتعجَّبوا أنَّهُ يتكلَّمُ

قلوبهم ان يستلموا رسالة من هذا الرسول العظيم وتُقرأ على مسامعهم ويعرفوا انها تحمل في طياتها صلاته أمام الله لأجلهم. جميل جداً الشعور أن يعرف الإنسان أن أحدهم يصلّي لأجله وجميلة أيضاً هي الصلاة لأجل الآخرين، والأجمل هو أن ندع هؤلاء الآخرين يعرفون انهم محبوبون ليس فقط من الرب، بل ومن أولئك الذين يشاركونهم الإيمان ذاته. أما الأكثر جمالاً فعندما تُقدّم الصلاة مع القناعة بأن الله، بطرقه الخاصة، سوف يقدّم الأفضل لأجل خير أولئك الذين نذكرهم بالإسم في صلاتنا، «لأنَّ هذا حَسَنٌ ومقبولٌ لدى مخلِّصنا اللهِ الذي يريدُ أنَّ جميعَ الناسِ يَخلُصون وإلى معرفةِ الحقِّ يُقبِلون» (١ تيمو ٢: ٣ و٤).

صلوات الرسول بولس لله كانت للشكر لأجلهم ولأجل إيمانهم في المسيح ولكي «يمتلِئوا من معرفةِ مشيئتِهِ في كلِّ حِكمةٍ وفَهْمٍ روحيٍّ لتسلكوا كما يَحِقُّ للربِّ في كُلِّ رِضًى مُثمِرينَ في كُلِّ عَمَلٍ صالِحٍ ونامينَ في معرفةِ اللهِ» (كو ١: ٩ و١٠). هذا لا يعني انه لم يذكر بعض ضعفاتهم لاحقاً في الرسالة، إلا انه يعالجها برأفة ورقّة مبتدئاً ومنهياً حديثه بالصلاة والشكر لأجلهم والتسبيح لله.

في صلاة السَحَر، يرد في إحدى الصلوات التي يتلوها الكاهن «... اقبلنا الآن أيضاً ساجدين لك، وشاكرين إياك على قدر طاقتنا». في هذه العبارة إقرار بمحدوديتنا كبشر بالمقارنة مع عظمة الله. هكذا شعر أيوب النبي عندما سأله الله بتهكّم: «أين كنتَ حين أسَّستُ الأرضَ؟ أخبِرْ إن كان عندكَ فَهْمٌ» (أيوب ٣٨: ٤). كم يجب أن يكون شكرنا كبيراً، لأننا لا نعلم إلاَّ القليل عن محبة الله غير المحدودة.

يشرح الرسول بولس سبب صلاته لأجل أهل كولوسي فيقول: «مُصلّينَ لأجلِكم إذ سمعنا إيمانَكم بالمسيحِ يسوعَ ومحبَّتَكم لجميعِ القديسين» (كو ١: ٤). يشكر الله على إيمانهم بالمسيح يسوع المترجم محبَّة لجميع الذين يؤمنون بالمسيح يسوع. انه «الإيمان العامل بالمحبة» (غلا ٥:٦). هذا الإيمان يشبه صليب الرب. فهو يمتد عامودياً للوصول إلى ملء قامة المسيح، إلى الله في السموات حاملاً معه البشر ومقدّماً إياهم لله الآب. كما يمتد أفقياً ليحتضن بالمحبة والصلاة كل إنسان على صورة الله. الإيمان والمحبة مرتبطان ببعضهما كالكلمة والأعمال. الإيمان والمحبة، الكلمة والعمل، لا يمكن فصلهما عن بعضهما في الحياة المسيحية الحقة في الكنيسة. قد يظن البعض انه من الممكن الإكتفاء بالإيمان والتملص من الواجب ومسؤولية المحبة تجاه الذين أحبّهم الله. الإيمان وحده لا يكفي، يجب أن يُترجم أفعالاً. «ما المنفعةُ يا إخوتي إن قالَ أحدٌ إنَّ له إيماناً ولكن ليس له أعمالٌ. هل يقدِرُ الإيمانُ أن يخلِّصَهُ... أنا أُريكَ بأعمالي إيماني... الإيمان بدون أعمال ميت» (يعقوب ٢: ١٤–٢٠).

في آخر الرسالة إلى أهل كولوسي يقول الرسول بولس: «واظِبوا على الصلاةِ ساهِرينَ فيها بالشكرِ مُصَلّينَ في ذلك لأجلِنا نحن أيضاً» (٤: ٢ و٣). الرسول بولس، وهو الذي تعب وسهر لأجل نشر كلمة الرب بين الأمم، يطلب أن يحمله المؤمنون في صلواتهم. فكم

مع امرأة. ولكنْ لم يقلْ أحدٌ ماذا تطلبُ أو لماذا تتكلّمُ معها* فتركَتِ المرأةُ جرَّتَها ومضتْ إلى المدينةِ وقالتْ للناس* تعالوا انظروا إنساناً قال لي كلَّ ما فعلتُ. ألعلَّ هذا هو المسيح* فخرجوا من المدينةِ وأقبلوا نحوه* وفي اثناءِ ذلك سألَهُ تلاميذُهُ قائلينَ يا معلّمُ كُلْ* فقال لهم إنّ لي طعاماً لآكُلَ لستم تعرفونه أنتم* فقال التلاميذ فيما بينَهم ألعَلَّ أحداً جاءَهُ بما يأكُلُ* فقال لهم يسوعُ إنَّ طعامي أن أعمِلَ مشيئةَ الذي أرسلني وأُتمِمَ عملَهُ* ألستُم تقولون أنتم إنه يكونُ أربعةُ أشهرٍ ثمَّ يأتي الحصادُ. وها أنا أقولُ لكم ارفعوا عيونَكم وانظروا إلى المزارع إنّها قد ابيضَّتْ للحَصاد* والذي يحصِدُ يأخُذُ أُجْرةً ويَجْمَعُ ثمراً لحياةٍ أبديَّة لكي يفرح الزارعُ والحاصِدُ معاً* ففي هذا يَصْدُقُ القولُ إنَّ واحداً يزرَعُ وآخرَ يحصِدُ* إني أرسلتكم لتحصِدوا ما لم تتعَبوا أنتم فيه. فإنَّ آخرينَ تعِبوا وأنتم دخَلتم على تعبِهم* فآمَنَ بهِ من تلكَ المدينةِ كثيرون من السامريين من أجل كلامِ المرأةِ التي كانت تشهَدُ أنَّ قد قال لي كلَّ ما فعلتُ* ولمّا أتى إليهِ السامريُّون سألوهُ أن يُقيم عندهم. فمكث هناك يَوْمَيْن* فآمنَ جمعٌ أكثرَ من أولئكَ جدًّا من أجل كلامهِ* وكانوا يقولون للمرأةِ لسنا من أجل كلامِكِ نؤمنُ الآنَ. لأنَّنا نحنُ قد سمِعنا ونعلَمُ أنَّ هذا هو بالحقيقة المسيحُ مخلّصُ العالم.

بالأحرى نحن الذين بأمس الحاجة إلى رحمة الله وبركته ونعمته.

المحبة المسيحية تتجلّى بأن نصلّي من أجل بعضنا البعض، ونشكر الله لأجل بعضنا البعض. هذه المحبة هي التي ميّزت المسيحيين عن غيرهم في القديم. الصلاة لبعضنا هي تعبير عن إيماننا العامل بالمحبة. في القداس الإلهي، في بداية الكلام الجوهري، تتعانق المحبة مع الإيمان ليتورجياً عند قول الكاهن: «لنحب بعضنا بعضاً لكي نعترف بعزم واحد مقرين: بآب وابن وروح قدس ثالوث متساوٍ في الجوهر وغير منفصل». فلنحمل بعضنا بعضاً بالصلاة والشكر الدائمين لكي نرث ملكوت الله.

العبادة الحقيقية

من الضروري أن نتقدَّم باستمرار من المائدة الروحية لنتناول جسد المسيح ودمه (سر الشكر) حتى تبقى الحياة الروحية في داخلنا نشيطة. علينا أن نتقدَّم لا مرة واحدة بل تكراراً ودائماً. علينا أن نتناول الدواء الإلهي ليجلس الخالق في الطين «الإنسان» ويصلح صورته التي فقدت شكلها الحقيقي بسبب الخطيئة. ان يد الطبيب، يد المسيح يجب أن تكون دائماً فوقنا لأننا متعرضون لخطر الموت بشتى الأنواع «وكنا أمواتاً في الخطايا فعشنا مع المسيح» (أف ٢: ٥) «ودم المسيح ينقي وجدانكم من أعمال مائتة لتعبدوا الله الحي» (عب ٩: ١٤) يقول الرسول.

ان المائدة الروحية السامية تعطينا الحياة الروحية السامية. وسر الشكر المقدس، هذا الجاذب الإلهي الكلي القدرة يجذب أرواحنا إلى فوق. فبسر الشكر نقدِّم العبادة النقية الحقيقية لله. لأنه إذا كانت العبادة النقية هي الخضوع الكامل لله الذي يحرك ويوجّه الكل فمن الواضح اننا سنحصل على هذا الخضوع عندما نصبح أعضاء في المسيح بواسطة سر الشكر. الرأس يعطي الأوامر للأعضاء. «خبز الحياة» يجعلنا أعضاء في المسيح، وكما ان أعضاء الجسد تعيش بالنسبة لعلاقتها بالرأس والقلب، كذلك يقول الرب «من يأكلني يحيا فيّ» (يو ٦: ٥٧). لا شك ان الإنسان يحيا بما يدخله إلى أعضائه من غذاء والتغذية المادية ليست حية لذلك لا تعطي الحياة. انها تساعد على الحفاظ على الحياة الموجودة. ولكن خبز الحياة، المسيح، ليس غذاءً فحسب يساعد الحياة بل هو نبع الحياة والذين يتناولونه يملكون حياة روحية حقيقية. ان خبز الحياة، المسيح يحرك المتناول ويحوّله ويدمجه بذاته.

اننا نسجد لله بواسطة سر الشكر، بالروح القدس، ونقدم له عبادة نقية، والعشاء الروحي هذا يقيمنا من الموت الروحي ويعطينا حياة، ويؤهلنا أن نعبد ونحن أحياء إلهاً حياً. لكن الانعتاق من أعمال الخطيئة المائتة ممكن فقط للذين يتناولون دائماً طعام الحياة هذا. وكما يجب أن نسجد «بالروح والحق» لأن الله روح هكذا يجب أن نعبده بملء الحياة الروحية، لا أمواتاً روحياً لأن الله هو الحياة، «ليس الله إله أموات بل إله أحياء» (متى ٢٢: ٣٢).

القديس نقولا كاباسيلاس

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb